

التفسير المختصر - سورة يونس (١٠) - الدرس (٨-٨) : تفسير الآية ١٠١ ، معرفة الله من خلال الكون

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-١٠-٣

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:  
أيها الأخوة الكرام:

الآية الأولى بعد المائة من سورة يونس يقول الله عز وجل:

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْأَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾

علماء الأصول يقولون إن كل فعل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، المسلمين يتوهون أن الأوامر، وأن تصوم، وأن تصلي، وأن تحج، وأن تزكي، مع أن كل فعل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب.

يقول الله عز وجل:

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْأَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾

الحقيقة يقول بعض العلماء أن في الكون ما يقترب من مليون مليون مجرة مليون مليون ! وفي كل مجرة ما يقترب من مليون مليون نجم وكوكب، وأن مجرتنا نحن درب التبان، شكلها مغزلي كشكل عضلة الإنسان، في هذه المجرة نقطة واحدة، نقطة، في طرفها الأعلى، أسم هذه النقطة المجموعة الشمسية !

يعني الشمس، والأرض، وطارد، والمشتري، والمريخ وكل هذه المجموعة الشمسية، في هذه النقطة ! والشمس تكبر الأرض بـمليون وثلاثمائة ألف مرة، وبين الأرض والشمس مائة وستة وخمسين مليون كيلومتر ! وأن الأرض لو أقيمت في الشمس، لتبرخت في ثانية واحدة، إلا أن الأرض مرتبطة بالشمس ما الذي يربطها ؟ قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

(سورة الرعد: ٢)

معنى الآية أنه رفعها بعمد لا ترونها، بغير عمد ترونها معنى الآية أنه رفعها بأعمدة لا ترونها، إنها قوى التجاذب.

الأرض مثلاً مربوط بالشمس بقوة تكافئ مليون مليون حبل فولاذي، قطر الحبل خمس أمتار، مليون مليون، وأن هذا الحبل الفولاذي يقاوم قوى الشد ما يعادل مليونين طن، فالأرض مربوط بالشمس بقوة تساوي مليون مليون ضرب مليونين من الأطنان من أجل أن تحرفها في مسارها ثلاثة ميليمتر كل ثانية، ليأتي مسارها مغلق حول الشمس، فلو لا هذه القوة، القوة الجاذبة، لانعنت الأرض من مسارها حول الشمس، ولسررت في متاهات الفضاء الخارجي، فإذا ابتعدت عن

الشمس، أصبحت الأرض في حرارة تقل عن مائتين وسبعين درجة تحت الصفر، وعندها تنتهي الحياة، هذا هو الصفر المطلق.

إذا لمجرد أن يلتغى ارتباط الشمس بالأرض، تخرج من مسارها، ما الذي يجعلها على مسارها المغلق حول الشمس، هذه القوى الجاذبة، التي تعادل مليون مليون طن ضرب مليونين، لو أردنا أن نزرع هذه الحال على سطح الأرض، لوجدنا أن بين الحبليين حبل واحد فارغ، نحن أمام غابة من الحال الفولاذية تعيق الحركة تعيق البناء، تعيق الزراعة، تعيق النشاط، تعيق أشعة الشمس تغدو الحياة مستحيلة، لو أن هذه الأعمدة مرئية.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

شوف هذه الآية ما أعظمها، وهذه الأعمدة المليون مليون حبل، كل حبل يقاوم مليونين طن من أجل أن تحرف الأرض في مسارها حول الشمس، ثلاثة ميليمتر كل ثانية، ثلاثة ميليمتر كل ثانية بصير للأرض مسار حول الشمس، هذا المسار الأرض نقطعه في عاماً يكمله، بسرعة ثلاثين كيلومتر بالثانية الواحدة، يعني نحن الآن بدا درسنا وحدة وحدة وثلث، يعني خمس دقائق، خمس دقائق ضرب ستين ثلاثة ثانية، ضرب ثلاثين، تسعة آلاف كيلومتر من وقت ما قلت بسم الله الرحمن الرحيم إلى الآن نحن ماشين تسعة آلاف كيلومتر، هذا كلام بديهية لا يحتاج إلى المناقشة سرعة الأرض حول الشمس، ثلاثة كيلومتر بالثانية، منذ أن قلت بسم الله حتى الآن قطعنا تسعة آلاف كيلومتر، يعني من هنا إلى قريب شمال أوروبا تقريباً.

﴿ذِكْرُ اللَّهِ رَبِّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)﴾

(سورة غافر: ٦٤)

عما بقالك:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

ومرة قلت لكم بين الشمس والأرض مائة وست وخمسين مليون كيلومتر، والشمس تتسع لـ مليون وثلاثمائة ألف أرض بوسطها وأن الأرض إذا أقيمت في جوف الشمس تبخرت في ثانية واحدة، وأن هناك نجماً يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، في برج العقرب أسمه قلب العقرب، إذا سرنا حول الشمس لأنثي عشر شهراً، نمر على أبراج، برج العقرب، برج الحمل، برج الثور، الله قال:

﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ (١)﴾

(سورة البروج: ١)

من هذه الأبراج برج العقرب فيه نجم صغير متلألق أحمر، أسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

أقرب نجم للأرض بعده عنا أربع سنوات ضوئية، يعني لو أردت أن تصل إليه بسيارة تحتاج إلى خمسين مليون سنة، لازم يكلك عمر خمسين مليون سنة، كل التاريخ ستة آلاف سنة، التاريخ كله، بقلك ما قبل التاريخ، ستة آلاف سنة التاريخ، كله، كل تاريخ البشر، ستة آلاف، لازم يكون عمرك خمسين مليون سنة من أجل أن تصل إلى أقرب نجم ملتهب إلى الأرض، أربع سنوات ضوئية، شوف القطب تفتر رأساً أربع ألف سنة ضوئية، قطب نجم الشمال، من أربع سنوات إلى أربع آلاف، المرأة المسلسلة أربع ملايين سنة ضوئية إحدى المجرات أربع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية.

**﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦)**

(سورة الواقعة: ٧٥)

لذلك:

**﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾**

(سورة فاطر: ٢٨)

ربنا يقول:

**﴿فُلِّ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**

شوف شو فيها، من أجل أن تعرف الله، من أجل أن تعرف من هو الأمر الذي أمرك، إذا قال لك غض بصرك من، إذا واحد جنبي بثكنة، وجاءه أمر من سبعة يمكن ما يبالي فيه سبعين أحسن، ثمانية أحسن، ثمانين أحسن ثماني ونجمين أقوى مساعد، نجمة على كتفه أقوى، نجمتين، ثلاثة أما لو جاءه أمر من أعلى رتبة بالجيش، على هو الرتبة الأمر تأخذه أنت، أنت هل تعلم من هو الأمر؟

**﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾**

(سورة الحديد: ٤)

يلي خلق مليون، مليون مجرة، بكل مجرة، مليون مليون، نجم، وبين بعضهم المجرات، أربع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، مع أن الضوء يقطع بالثانية ثلاثة مائة ألف كيلو متر والدقيقة ضرب ستين، والساعة ضرب ستين، باليوم ضرب أربع وعشرين، وضرب ثلاثة مائة وخمس سنتين، هذا قول الله عز وجل:

**﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦)**

أشعة الشمس أيها الأخوة، تبعد عنا ثمان دقائق، لسان الله يزيد عن مليون كيلو متر، لسان الله، على سطحها ستة آلاف درجة الشمس بقيت مشتعلة العلماء يقدرون خمسة آلاف مليون سنة، قال وسوف تشتعل حسب التقديرات خمسة آلاف مليون سنة أخرى، فلا قلق من انطفاء الشمس، من أين الطاقة؟ تحط بثمان مائة ليرة بنزين بعد يومين يخلصوا، يخلصوا مرة ثانية، تجيئ خمسة متر مكعب مازوت، بعد شهرين عندك شوفاج يخلصوا.

طيب هذا النجم الملتهب، يلي صار له خمس آلاف مليون سنة شاعل، وحسب تقديرات خمسة آلاف مليون سنة قادمة سوف يبقى ملتهب، مصدر الحرارة، والضوء، والتعقيم، والجذب، من أين الطاقة؟ يا ترى شو في مستودعات، شو عما يحرقوا فوق الإنسان مو لازم يفكر؟ من أجل أن تعرف الله، من أجل أن تعرف ما معنى أمر الله، الله أمرك أن تفعل كذا، هناك أن تفعل كذا، الذي أمرك هو خالق السموات والأرض.

فهذه الآية أيها الأخوة الكرام:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّورُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١)

إذا كان غير رغبان يؤمن، ما في شيء يقنعه الإنسان، وإذا كان رغبان يؤمن كل شيء يقنعه. أيام إنسان يفوت على محل تجاري، بدو مثلاً حاجة، بفرجي البياع ميت حاجة، ما بدبي، ما بدبي، عندك الحاجة الفلانية، أصعب من أن تقنع إنسان بشيء ما بدو ياه، يفرد له قماش، أخي ما بدبي قماش، بدبي بدلة جاهزة قماش إنكليزي، درجة أولى كbone، بدبي بدلة ما بدبي قماش. فإذا واحد ما بدو يهتدى، لو بنقرجيه أعظم آية، كاميرا بلا فلم، هي القصة، قد ما أخذت المسافة، والسرعة، والقطة حلوة بس فلم ما في لا تغلب حالك فلم ما في، الفلم هو الرغبة بالهدى، إذا كان ما في رغبة بالهدى فلم ما في، قد ما يطلع الإنسان على آيات.

وكم آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها غافلون،

وكم من آية، نحن عنا مليون آية، عينك آية لحالها، شعرك آية، أنفك آية لسانك آية، العضلات آية، القلب آية، والله في بالإنسان آيات الله بيشهد، لو تمضي كل حياتك في التأمل في الآيات الصارخة، الدالة على عظمة الله بس بجسمك ما تنتهي، يعني أقل شيء هذا القلب يبنص بلا كلل، وبلا تعب، ثمانين سنة، تسعين سنة، حركة مستمرة، عما يضخ الدم، له أمر كهربائي ذاتي، العضلات أنواع ثلاثة، عضلات مخططة، عضلات ملساء، والقلب نوع خاص مستقل، القلب لوحده معجزة.

عقد مؤتمر بأمريكا لأمراض القلب، قال لي صديق حضر المؤتمر، قال لي شيء لا يصدق، ألف وخمس مائة محاضرة اخترنا عشرة بس نحنا حضرهم حول أحدث معطيات القلب، القلب هذه العضلة الصنوبرية التي تعمل بلا كلل وبلا ملل، الشريانين، الأوردة الأعصاب. فأخوانا الكرام:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

أمر إلهي يقتدي الوجوب، لازم تذكر بالكون، من أجل أن تعرف عظمة الله، إن عرفت عظمته تستقيم على أمره، لأنه تعالى يقول:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

الآية رقم مائة وواحد من سورة يونس:

﴿قُلِ انْظُرُوا﴾

يعني فكروا.

### ﴿مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

لهذا:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْنَا هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١)

(سورة آل عمران: ١٩٠ - ١٩١)

انتهى الوجه الأول من الشريط

قبل ما طلق، قبل ما تزوج، قبل ما تحضر هذه الحفلة، هذا الذي خلق خلق السماوات والأرض، هل أنت ترضيه بهذا العمل أما تعصبه، هون الذكي، أبحث عن ما يرضي الله، وأنت الراوح وأنت الفائز، وأنت الناجح، وأنت المتفوق، وأنت الذكي، وأنت العاقل، لذلك، ارجكم عقلاً أشدكم الله حباً. أعطينا واحد الماسة، حقها ثلاثة ألف ليرة، وكأس كريستال حقها ثلاثة ليرة، وقطر ميز بلور للمكدوس حقه ثلاثة ليرة، نقي، إذا أخذ القطر ميز تكون مخ ما في بنوب، هذا رخيص بذلك شوف حجمه، لذلك ارجكم عقلاً أشدكم الله حباً، الكأس صغيرة لكن ثمنها ثلاثة ليرة كريستال، أما هذا كبير كله حقه عشرين ليرة غطى بلاستيك للمكدوس، ارجكم عقلاً أشدكم الله حباً، كل ما عقلك كبر تصير تعرف تختار.

المؤمن اختار الله والدار الآخرة، طلع ذكي واحد، والباقيون اختاروا الدنيا، فضحت عليهم، عند نجاحه تتضى شرف معنا، خلص عمرك تتضى، حتى خلص هذا البيت، ما سكن بالبيت والمسبح ما سبحنا في، شرف خلص، انتهى الأمر.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين